

حَوْلَ الْمِنْظُورِ الْحَضَارِيِّ لِلْبَعْثِ

السلبية التي رافقت بعض مراحله .. وكذلك فكرة قيام نظام اقتصادي عالي جديد ، ونظام سياسي دولي جديد يعبر عن أرادة الشعوب ، يسمح بتحقيق الطاقات المخزونة فيها ، كل هذه النظارات ، إنما تنبئ من إدراك لطبيعة التحولات الموضوعية والمسيرة الحضارية لعالمنا الراهن ، التي لا بد أن تؤدي إلى تحول في سلسلة القيم نفسه . لأن مستقبل العالم الحضاري ، إنما يتوقف على تفاعل القوى الحضارية الجديدة التي تشكل نظرة إيجابية ليس فيها حقد ، ولا عقد تاريخية ، ولا مصالح ضيقة أنسانية . فانقضى الذي تخوضه قوى المستقبل في عالمنا ، إنما يقوم على الدفاع عن قضايا مصرية مرتبطة بالمصير الحضاري للعالم نفسه .

أيها السيدات والسادة :

إن الكلام عن المنظور الحضاري للبعث ، يعني الكلام عن أبعاد تجربة تاريخية للأمة العربية ، وعن قوة متحققة وفاعلة وصاعدة في الوطن العربي ، تبني نفسها على ضوء فلسفة (الحوار الحضاري) ، التي تشكل في نظر البعث منذ تأسيسه عام ١٩٤٧ (الارضية الحقيقة لبناء انسانية جديدة) .

محاضرة القيت في كلية الشرطة

١٩٧٨/٦/١٥

ايها الرفاق والاخوة

ان المهمة (الحضارية) التي ينهض بها قطاعكم ، في اتصاله المباشر واحتكاكه الدائم بالشعب ، والتي هي مهمة تنظيمية وارشادية وتنويرية وتربوية ، قبل أي شيء آخر ، تشكل في المرحلة التاريخية الراهنة من تطور مجتمعنا رسالة تطوير وتحضير وتحديث ، الى جانب المهام الاخرى التي تملئها حاجات النضال في مجتمع يشق طريقه كقاعدة للثورة العربية . وهذه (المهمة الحضارية) التي تحظى بكل تقدير من ابناء شعبنا ، ليست الا جزءا من مهام ثورتكم وهي في الوقت نفسه تجسيد لهوية البعث ورسالته التاريخية الحضارية .

فحذركم ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، قد تميز ، منذ البدايات الاولى التي مهدت لنشأته وتأسيسه ، بامتلاكه (منظور

ان في ابسط الاعمال والمهام التي تنهضون بها داخل قطاعكم الحيوى ، تتجلى ، وبخاصة ، من خلال علاقتكم بجماهير شعبنا ، ملامح المنظور الحضاري لثورتنا وحزينا . فأنتم مع ابناء الشعب تقومون بمهمة عامة مشتركة هي مهمة التحدث والتطوير والتقدم وتنظيم الحياة على أسس تعكس روح الثورة ومنظورها وطموحها . وكلما تعمقوعي لهذه المهمة الاساسية ، وأصبح مشتركا على الصعيدين الرسمي والجماهيري ، كلما اقتربنا من منظور الثورة العربية ومن اهدافها الكبرى فنحن ، بازخم من كل الوسائل التي نعاني منها ، ومن المشكلات الموروثة من مرحلة الانحطاط والضياع القومي والاستعمار والتخلف والاستغلال ، والتي يجعل مهمه النهضة المعاصرة صعبة وشاقة ، فاننا نستطيع ، حتى في تفاصيل حياتنا اليومية ، أن نتذكر وقائع من تاريخنا تعينا الى المستوى التاريخي الذي عالج فيه اجدادنا مشكلاتهم وكأن سببا في ظفرهم على التحديات الداخلية والخارجية ، وفي ارتفاعهم الى مستوى رسالة امتهن .

فالملهم ان يكون هذا التذكر حيا ، أي ان يكون عاملا في تجديد الصلة بالماضي على اساس معالجة مشكلات الحاضر والتطلع الى المستقبل بنفس الروح المبدعة والعقل العلمي والثقة الخارقة

حضاري) أي بنظره شاملة الى الامة والى الانسانية ، وبنظره علمية تحليلية للمراحل التاريخية وتحديد واضح للمرحلة الراهنة من حياة الامة العربية ، والتي هي مرحلة نهضة وابعاد قومي حضاري . وكذلك بنظره ثورية عميقة الى محتوى النهضة العربية المعاصرة . وفي ثورة الوحدة والحرية والاشتراكية على واقع يجزيء الوطن ويضطهد الامة ويستغل الجماهير العربية . ومن هنا كان لابد أن تتصور الدور الذي يقوم به أي قطاع من القطاعات الأساسية للحياة وللدولة في المجتمع ، على ضوء هذا المنظور الحضاري للحزب .

وأنتم في هذا القطر المناضل ، قد ورثتم أقدم الحضارات في التاريخ البشري ، وكتم أسع الاقطار العربية الى حمل لواء الحضارة العربية الاسلامية في الماضي ، فالعروبة والاسلام وجدا في العراق الاذن المرهفة ، والقلب الملبى لنداء الرسالة . فأنتم اليوم ، جديرون بأن تنهضوا بمهمة الحضارية لبعثكم العربي الاشتراكي في هذه المرحلة الخطيرة والمصيرية من تاريخ الامة العربية لتعيدوا امتكم الى مكانها كمنارة للعلم والعرفة والقيم الانسانية في العالم .

وجودها ، بل هي بحاجة الى استنفار كل قواها واستخلاص كل تجاربها واستيعاب تجارب الآخرين ايضاً . لأن الإطار التي تهدد امتنا هي من نوع الاخطار المصيرية الكبرى ، التي تتجمع فيها وتتوحد ، كل ما تعرضت ، وتتعرض له الأمم الأخرى في العالم الثالث من انواع التحديات والاخطر والمؤامرات .

فقد شاء قدر امتنا ان يكون وطنها العربي في موقع مرکزي من العالم ، وأن يكون قدر العالم مرتبطاً بموقعها الجغرافي ، وتراثها ، ودورها الحضاري . وأن يكون تحررها ، يعني المساهمة الكبرى في تحرير الإنسانية برمتها . لأن تنافضات العالم بأجمعه تنعكس على واقعها .

فذيول المرحلة الاستعمارية القديمة ، والمصالح الامبرialisية الراهنة ، والمؤامرة الصهيونية ، واحتياطي التجئة والتخلف والاستغلال والرجعية . كلها تقف في وجه النهضة العربية المعاصرة ، وتعترض طريق الانبعاث القومي ، وتفرض على امتنا مستوى من المواجهة لا يستطيع أن يتحقق إلا انسان عربي جديد يحتاج الى اعداد جديد ، واجيال عربية مهيئة لدور قيادي تاريخي ، وجماهير معبأة ومدرية ، منتجة ومبدعة ، تتفجر طاقاتها الثورية على شكل ثورة دائمة . فالثورة العربية هي اليوم وارثه للتفاعل الحضاري بين العالمين القديم والحديث ، وحاملة (للرسالة) ، التي جددت روح الإنسانية ، ابان ثورتنا القومية الروحية التي تثلت بالاسلام

بالنفس التي امتلكتها الاجيال التي نقلت الامة العربية من الجاهلية الى الحضارة .

ان التراث العظيم الذي ورثناه عن الماضي ، لم يكن لغة وشرا وبطولة وتوحيداً واتشاراً في الارض ودولة ممتدة على ثلاث قارات وحضارة غنية حسب ، بل كانت معطيات هذا التراث وقبل كل شيء ، وعيال للذات ، وطريقة في تحويل المجتمع ورسالة انسانية .

لذلك فان التراث العربي ، بقدر ما هو سند لشعبنا وأمتنا في مرحلتها التاريخية الراهنة ، فإنه يشكل تحدياً لواقعنا ولآجيالنا في آن معاً .

انه يتحدى الواقع لانه يكشف عن حقيقة الامة . وهو يتحدى الاجيال الجديدة ، لانه يكشف عن المستوى الذي ينبغي ان يرفع اليه نضالها وسلوكها ووعيها ، حتى يكون اتسابها الى التراث شرعياً ، فلا تكون متعلقة وعيها عليه .

ان العناصر الحية المتتجدة في تراثنا القومي ، تشكل اليوم اساس انطلاقتنا الاصلية وجزءاً من منظورنا الحضاري الانبعاثي ، ومن معاناتنا النضالية في الحاضر ومن نظرتنا الى المستقبل .

فالامة العربية ، وهي تواجه اليوم ، كل تحديات العصر ، لا تستطيع أن تجابها بجزء من شخصيتها ، او بعد واحد من ابعاد

فالهموم الفكرية ، والمعاناة العميقة لطائفة النهضة العربية المعاصرة كانت تتركز حول الاجابة على السؤال : من نحن ؟ وكيف نحقق وجودنا ، ودورنا في هذا العالم ، وكيف نعبر عن حقيقتنا ضمن اطار هذه المرحلة التاريخية ؟

وقد بقىت الاجوبة على هذه الاسئلة طيلة نصف القرنين التاسع عشر والعشرين ، تتخطب بين المفاهيم الاقليمية والاممية ، والقومية الطوباوية ، والرجعية ، حتى بدأت ملامح الوعي العلمي الثوري مع مطلع الأربعينيات من هذا القرن ، التي شهدت ولادة البعث . فقد وجدنا خلال المرحلة التي سبقت نشأة البعث ، انماطا من الايديولوجيات والحركات السياسية والاحزاب ، بعضها يتكلم عن أمم عربية ، سورية ، وفرعونية ، وفيئيقية .. الخ ، وبعضها يقيم تنافضا مصطنعا بينعروبة والاسلام تحت تأثير نزعات سلفية متخلفة او تأثير علمانية مغتربة ، وبعضها يعزل القومية عن جماهيرها وعن نضال الامة ضد الاستعمار ، أي عن الاشتراكية والحرية ، والبعض الآخر يعزل الاشتراكية عن اطارها القومي وعن النضال ضد التجوزة .. كل ذلك لأن تلك الايديولوجيات والحركات ، لم تدرك المعنى الحقيقي للنهضة العربية ، وما هي التنافضات الاساسية في الواقع العربي ، لأنها كانت تشكو من نقص اساس وجوهري ، كامن في افتقارها الى المنظور الحضاري الشمولي والعميق الى

ثورة التوحيد ، التي وحدت فكر الامة وضميرها ، واطلقت القدرات المبدعة لدى جماهيرها . وهي اذ تصنع اليوم على الارض العربية انسانيتها الجديدة ، فان الثورة العربية اثنا تساهم في صنع عالم جديد ، عالم من الامم العرة الاشتراكية . (فروح الرسالة) ، بقيت حية متتجدة في امتنا ، وهي التي تشكل اساس (المنظور الحضاري) للبعث في المرحلة التاريخية الراهنة ، حيث تأتي ظروف المعركة المصيرية للامة ، وذروف الانهيار الحضاري للعالم الغربي الذي بدأت ملامحه منذ تطلع هذا القرن ، لتوكد جميعها الدور الحيوي لروح الرسالة في الانبعاث العربي المعاصر ، وفي مشاركة الامة العربية في اضاج حضارة عالمية جديدة .

ابها الاخوة الرفاق

لم يكن اضاج هذا المنظور الحضاري للبعث عملية سهلة بسيطة . فقد كان تسویجا لمعاناة فكرية ونفسالية طويلة نقلت الامة العربية من مرحلة الى مرحلة جديدة من النهضة العربية المعاصرة . فالجيل الاول من المفكرين العرب ومن المناضلين والاجيال الثورية التي شقت طريق هذه النهضة ، جميعهم اسهموا في اضاج هذا المنظور الحضاري ، الذي لم يكن منذ البدء شيئا آخر سوى النظرة العميقية الى الذات ، (ذات الامة) بعد ضياع طويل وغياب

حس الهوية .

ان هذه النظرة العلمية الجدلية التأريخية ، التي اضجت التركيب الانبعاثي الجديد : (الاصالة المتتجددة) ، (والحداثة المتأنسة) . قد ميزت الايديولوجية العربية الثورية عن الايديولوجيات القومية ، والدينية التقليدية ، والماركسيّة ، بنظرة علمية ثورية الى التاريخ والامة والى الحضارة ، كانت ب بشابة الاساس الصلب الذي قامته عليه حركة الثورة العربية المعاصرة .

ب - والى (المنظور الحضاري) للبعث ، يرجع الفضل في انتقال مفهوم الوحدة العربية من المعنى التقليدي كشعار سياسي مستهلك ، الى مفهوم علمي ثوري مستوعب لا بعاد تناقض التجزئة القائم في الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي ، العربي ، وفي الذهنية والنفسية التي تشكلت من خلال معطيات التجزئة . فالوحدة تعني الثورة وهي (فكرة ثورية) تقود العمل الوحدوي الذي ينبغي أن يكون ثوريًا ، وهي تعني استعادة وحدة الامة ووحدة الوطن ووحدة الهدف ، وليس مجرد مجرد تنسيق لواقع التجزئة . فالوحدة السياسية والتوحيد السياسي هما جزء من كل ، هو التوحيد القومي الذي يعني الغاء القطرية والحدود التي رسمتها التجزئة السياسية ، وبالتالي فهي صراع مع القوى التي خلقت

(الذات العربية) والى (الواقع العربي) والى طبيعة المرحلة التأريخية لامة ولعصر . فالبعث جاء تلبية لحاجة سد هذا الفراغ ، وتدشينا مستوى جديد في الحياة القومية والنضال القومي المعاصر .

ايها الرفاق
ان (المنظور الحضاري) الذي تميز به حزينا ، قد كان وراء الاكتشافات الاساسية لفكر البعث .

ـ - بفضله ، تحقق لأول مرة في الفكر العربي الحديث الربط الجدي بين الاصالة والحداثة ، فلم يعد تراثنا القومي ، كما كانت تجده النظرة السلفية الرجعية ضمن اطار نظرية صنمية ، تبعده عن المعاناة الراهنة لامة وعن آفاق المستقبل ، وتعطل الجانب الوظيفي والمعاناة الابيادية الحية فيه ، ولم تهد حداستنا وتطورنا وتقدمنا عملية اغتراب وتبعية وتقليد للغرب ، لأن المنظور الحضاري للبعث قد انقد التراث من الصنمية كما انقد الحداثة من الهجامة عندما ارتفع الى مستوى جديد من الوعي لعلاقة الروح المتتجدة للرسالة العربية بمرحلة النهضة المعاصرة وكون (الحداثة) انا هي التقاء حي ، وتجديد للصلة بين الماضي والحاضر والمستقبل العربي .

فللحرية معنى حضاري يضاف إلى المعاني السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ويجمعها ضمن إطار مفهوم ابتعاثي جديد للحرية يأخذ بعين الاعتبار العلاقة الجدلية بين الفرد والمجتمع • بين الإنسان والامة ، بين الإنسان والطبيعة ، بين الإنسان ذاته •

فالحرية بالإضافة إلى أنها (وعي لقوانين التطور الاجتماعي والتاريخي والحضاري للأمة العربية ضمن إطار العالم ، ووعي لتناقضات المرحلة العربية الراهنة) ، هي توظيف لهذا الوعي في شق طريق الانبعاث ، وابداع الوسائل والأدوات والخطط الالزامية للاتصار في معركة الحرية • فالحرية الوحدوية الاشتراكية مفهوم ابتعاثي حق تجاوزاً للمفهومين ، (الليبرالي) الفردي الاطلاقي المجرد الذي يسج الاستغلال • و (الماركسي) المادي الجدلية الذي يركز على الجانب (الموضوعي) على حساب (الذاتي) وعلى الجانب (الطبقي والاجتماعي) على حساب الجانب (القومي والحضاري) ، ويهمل الجوانب الروحية ، ومسألة بناء الشخصية الإنسانية من الداخل •

لذلك فان (المنظور الحضاري) للبعث قد طرح الى جانب مفهوم التحرر من الاستعمار ومن السيطرة الامبرialisية

التجزئة ومع المصالح التي تلتقي معها و تعمل على ترسيخها ، قوى الاستعمار والامبرialisية والصهيونية والطبقات الرجعية المستغلة وهي بالإضافة إلى مضمونها التحرري الاشتراكي ، تجسيد لمفهوم الامة الواحدة والشخصية الحضارية وهي الشرط الاساسي لتحقيق رسالة الامة •

جـ - ومن خلال (المنظور الحضاري) للبعث ، تبلور مفهوم جديد للحرية في الوطن العربي • مفهوم (وحدوي) يربط تناقض التجزئة بالتناقض الاستعماري الامبرialisي الصهيوني ، ويكشف شكلية الاستقلال القطري وعدم جديته اذا انفصل عن النضال الوحدوي ، فالمهم والجوهرى هو (حرية الامة) وليس تحويل الاقطار الى كيانات مشوهة • والمهم هو حرية الجماهير وليس حرية المستغلين • كما أن حرية الأفراد لا تأخذ في مفهوم البعث معناها العميق الا بارتباطها الوثيق والعميق بحرية الامة • فللحرية اذن محتواها الوحدوي ومضمونها الاشتراكي وهي التزام برسالة الامة • فهي تعني تحرير الوطن العربي من الافتصاب والاحتلال والتخلف والتبعية وتحرير الانسان العربي والامة العربية من عوامل الانحطاط وآثار المرحلة الاستعمارية ، أي بعث الشخصية انعرية من جديد •

مقولاته وايديولوجياته القديمة ودون تحليل علمي جديد يضع موقع النقد والت محض كل ما طرحته الفكر الاشتراكي من قبل ، من أجل الارتفاع الى مستوى جديد من الفهم الاشتراكي العلمي . فقد خرجت اشتراكيه البعد من اطار النظم الفلسفية الاطلاقية التي تقدم نفسها كخاتمة المطاف ، وتحكر الصفة العلمية وتطلق الاحكام الكهنوتية على غيرها . لان اشتراكيه البعد التزمت منهجا علميا جديريا تاريخيا في تحليل بنية المجتمع العربي وتناقضاته الاساسية في المرحلة التاريخية الراهنة على ضوء صورة العالم السياسية والاجتماعية والحضارية الراهنة . ولم تفرق في نزعة فلسفية مجردة . لذلك استطاعت ان تتخلص من المفاهيم القطرية الاشتراكية وان تتضاجع مفهوما وحدويا للاشتراكية يربطها بالاطار القومي الطبيعي ، كما استطاعت اشتراكيه البعد ان تتجنب الخلل في العلاقة بين الاشتراكية والحرية ، الذي وقعت فيه النظم الماركسيه ، فهي لم تنظر الى الاشتراكية كمصدر وحيد للحرية ، بل اعتبرت العلاقة بينهما علاقة جدلية وليس تبعية . لذلك اتبهت منذ البدء الى خطورة البيروقراطية والسلط الفوقي على الجماهير باسم الاشتراكية . وشجبت منذ البدء الزعامات الستالينية التي تبرر قمع الحرية باسم الاشتراكية واقامة التناقض فيما بينها

والاحتلال الصهيوني ، مفهوم التحرر من جميع اشكال التبعية ، ومسألة استرداد حرية اتخاذ القرار ، واستقلال الشخصية والثقة بالنفس وبالامة .

كما طرح الى جانب مسألة تملك الجماهير للشورة القومية مسألة خضوع السلطة لارادة الجماهير واستسلام الجماهير للسلطة ، وارتباط السلطة بمفهوم الرسالة ، رسالة الامة .

د - وعلى ضوء هذا (المنظور الحضاري) للبعث ، تم اضافة مفهوم علمي جديد للاشتراكية ، ينقدتها من الاحتقار الماركسي دون أن يعود بها الى الطوباوية . ففي اشتراكية تحيط بها حصل من تطور وتبدل في اوضاع المجتمعات البشرية خلال ما يقرب من قرن من وفاة كارل ماركس ومن تطور في واقع الاظمة السياسية ، وفي طبيعة القوى التي تحكم العالم ، وفي مفاهيم الزمان والمكان والمنادة والمدنية والحضاراة . وفي واقع الجماهير والطبقات والامم ، وخاصة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث الشورات التكنولوجية والفضائية والذرية والسكانية وفي الاعلام والثقافة ، تطرح معطيات جديدة لم يعد العقل الفلسفى ، المثالي والمادي ، على حد سواء قادر على استيعابها ببساطة ضمن

واستيعاب للعوامل المشتركة في تجارب التحرر في القارات الثلاث ، ودور الرجعية في العالم الثالث ، كما استطاع في الوقت نفسه ان يدرك طبيعة الخلل القائم في التجارب الاشتراكية المعاصرة والتامن وراء الازمات الحادة بين البلدان الاشتراكية . وأن يشق الطريق العربي الى الاشتراكية عبر فهم عميق لمعطيات الصراع بين الامة العربية وتناقضاتها الداخلية من جهة وتناقضات العالم الرأسمالي والاشتراكي من جهة أخرى .

وهكذا فان (المنظور الحضاري) للبعث ، قد كان الميزة الاساسية التي امتلكها فكر حزبنا ، والتي منحه القدرة على تجاوز الايديولوجيات المطروحة في الساحة العربية من قبل .

المنظور الحضاري هو الذي كان وراء الفهم الاعمق للوحدة وللحريه وللاشتراكية وهو الذي سمح بفهم أعمق للظاهرة الاستعمارية ، وللظاهرة الصهيونية ، والظاهرة الامبرialisية والرجعية . وهو الذي ساعد على ابراع اعمق لظاهرة التخلف . وكان وراء الفهم الاعمق لليسار ولليسار الجديد في العالم . وهو الذي جعل فكر الحزب يستبق ويتقدم على الايديولوجيات الأخرى ، وعليه يعود الفضل في امتلاك حركة التحرر والثورة في الوطن العربي لنظرة عميقة الى (الذات) والى (الآخر) ، وتحويل الفكر الى سلاح في المعركة القومية ، واستعادة الشعور بالرسالة وربط الثورة العربية بمصير الإنسانية وقيمها الحضارية .

مفهوم (التربية الاشتراكية) كان أساسه منهوم (الاشتراكية الإنسانية) ، وكلاهما يرتبط بالوحدة العربية وبمفهوم الانبعاث القومي .

كل ذلك جاء بفضل (المنظور الحضاري) للبعث الذي استطاع ان يخترق القوالب والمذاهب وجدران الصنمية ، وأن يمتلك النهج العلمي الثوري . لذلك رفض منذ البدء فكرة (النحوذ الواحد) في الاشتراكية ، ورفع الاكتفاء بالبعد القطري لها ، ولم يتوقف عند العامل الاقتصادي والمادي للاستيلاب الانساني ، بل ربط عوامل الضياع بتناقضات المجتمع العربي فأكده على العامل القومي وعلى العامل الحضاري ، فالعوامل السياسية والثقافية والفكرية ، أخذت في فكر البعث الاشتراكي مكانها ضمن دائرة العقلية الجدلية الشاملة للوطن العربي والامة العربية . ولم يفل فكر البعث عن الرابط العلمي بين ما هو عام في الاشتراكية ، يعكس قوانين تطور المجتمعات البشرية بوجه عام ، وبين ما هو خاص بالمجتمع العربي والمرحلة التاريخية الراهنة التي يمر بها . واستطاع فكر البعث الاشتراكي ان يكتشف السياق الخاص لتطور الاشتراكية في العالم الثالث بتحليله العميق للظاهرة الاستعمارية والامبرialisية والصهيونية وعلاقتها بالقوى الرجعية والبني الطبقة القائمة داخل المجتمع العربي كاحتياطي للردة ،

متالية ، كانت قد توقفت عند حدود الرفض السلبي او التبرير العقيم ، ولم تخرج من دائرة الازمة التي تعيشها الحضارات والتجارب المعاصرة .

فقد اعاد البعض مفهوم (الحوار الحضاري) الى مكانه الطبيعي ، بعد أن حدث انقطاع سببته مرحلة الانحطاط ، وعززته الايديولوجيات التي اساعت فهم المرحلة العربية الراهنة .

فالحوار مع الماضي ، الذي كشف للبعث الانقطاع بين الحاضر والتراث . والحوار مع الثقافات ، الذي كشف له المسافة بين الواقع الامة وبين حقيقتها ، وبين حاضرها وطموحها المستقبلي . كل ذلك كان ، نتيجة للمعاناة الفكرية والنسالية التي ولد منها المنظار الحضاري الجديد .

فقد كانت محاولات طمس الهوية القومية في المغرب والشرق ابان الاستعمار الغربي والسيطرة العثمانية ، عاملا في نشوء الحس بالهوية عند العرب . ومن هنا كان التأكيد على الذات علا ايجابيا طالما بقي في حدود تعميق الوعي بالذات وبالآخر .

فالتمسك بالاصالة والخوف من التشكيك الكاذب للوعي العربي ، اصبح شيئا مشرقا ومطلوبا ضمن اطار المعركة الدائمة والمؤامرة المتتجدة على النهضة العربية . لا بل اصبح واجبا نضاليا وانسانيا وحضاريا . بالإضافة الى كونه عملية رد على المحاولات

ابها الرفاق والاخوة
ان (المظور الحضاري) تاج حضاري ، وهو رمز الى
حقيقة موضوعية ، وهي أن الامة العربية قد استأنفت مسيرتها بعد
انقطاع سبعة قرون . وعندما يقول القائد المؤسس^(١) : (انت لست
الا تاج امتك) ، فهذا يعني ان ما امتلكه البعث من مظور
حضاري ، انتا يعبر عن اتساء حضاري ، وعن وعي لهذا الاتماء ،
استنوعب من خلاله صورة المرحلة العربية الراهنة وصورة العالم
ومعنى الرسالة الحضارية للامة في تجربة نهضتها المعاصرة . كل
ذلك ليس الا تعبيرا عن وعي الامة العربية لذاتها ، وثورتها على
واقعها وتطلعها الى دور انساني شمولي في المستقبل .

فالحسن التاريخي في الامة قد أيقظ حسها النضالي وجعل
نهضتها تأخذ شكل ثورة على نفسها وعلى واقع الانسانية الحاضر .
 فهي ثورة أصلية تضرب جذورها في الحياة العربية والانسانية .
 فهي شاملة وعميقة تنهل من مصدر الرسالة وتعلق الى آفاق
تقدمية تحريرية حضارية ، منسجمة مع روح الامة وروح العصر .
 لذلك تيزت نظرة البعث الى (التراث) والى (الدين) والى
(الحضارة المعاصرة) ، بحس تقدي ايجابي ، استطاع ان يطرح
حلولا ايجابية ، وأن يتقدم على النظارات الفلسفية ، مادية أم

(١) ميشيل عفلق : في سبيل البعث ط٧ . ص٤٠ .

وأن يتتجنب الانزلاق الى أحد الموقفين : (الرجعي) الذي ينضم
الدين فهما سطحيا شكليا ، ويحوله الى عادات آلية ومارسات
فأقدة للمحتوى الروحي والجوهر ، ومعادلة لروح الثورة في الامة .
و (الماركسي) الذي يضم الموقف من الرجعية على الموقف من
الدين وينظر اليه من منظار فلسفى الحادى .

فالعلاقة بين العروبة والرسالة قد كانت في اساس المنظور
الحضاري للبعث للربط بين ثورة الامة في الماضي وفي الحاضر ،
وتخليص الدين من ايدي الرجعية ووضعه في طريق الثورة .
 فالرسالة العربية روح متتجدة وفاعلة وهي اللحمة التي تربط ما
 بين الثورة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المرحلة
 الراهنة من حياة العرب .

ان هذا المنظور الحضاري للبعث ، قد استطاع بدوره ان
يدرك المعنى العميق للتطور التاريخي ولمنهج التأريخ . فتطور
المجتمعات البشرية لم يكن بصورة مطلقة ودائمة مجرد (مسيرة
بيولوجية) تحمل فيها معادلة (العمل - الاستهلاك) أعلى مراتب
الفعالية البشرية و (التأريخ) ليس مجرد عملية (تسلل حيوى)
للطبيعة . بل ان ابعاد الحياة الإنسانية تؤكد ان التأريخ هو عملية
صنع الإنسان ، والشعوب ، والامم ، لمصيرها وحضارتها
وشخصيتها الإنسانية . فهو كفاح تأخذ فيه (الحرية) مكانها

الرجعية التي تقتل الاصالة ، وعلى التقديمية السطحية الطائشة
التي تريفها ، وطرح مستوى جديد في فهم التراث وعلاقته بالمعاصرة ،
مستوى المفهوم الانبعاثي العلمي الحضاري .
فالتراث (حياة وثورة وحضارة) عرفها العرب في الماضي ،
وهو البعد التاريخي الذي يشكل جزءاً مكوناً لشخصيتها الفردية
والاجتماعية فالعودة اليه تعني تجديد الصلة بما هو حي منه ، وبما
هو فاعل وايجابي ومؤثر في نهضتنا ، وما هو منسجم مع حركة
المجتمع واطلاقه الامة نحو المستقبل . (فالتقديمية هي سبيل
اتصالنا بماضينا) كما يؤكّد تراث البعث ومنظوره الحضاري .
و (الدين) كجواهر ، أي كرسالة توحيد وسمو ومحبة ،
وكثرة على الصننية في الفكر ، والانحطاط في الروح ، والفساد
في المجتمع ، قد كان موضوع اعتبار وتقدير واحترام في منظور
البعث الذي اعتبر عاطفة التدين لدى الجماهير العربية جزءاً من
عملية المحافظة على الاصالة والانشداد الى التراث ، دون ان يغفل
عن محاربة الرجعية التي تستغل هذه العاطفة من اجل اهداف
متعارضة مع مصلحة هذه الجماهير ومع حاجات تحريرها وتطورها
وسعادتها ومع نزوع الامة الى الثورة والنهضة والتجدد والتقدّم
ومتابعة المسيرة الإنسانية الحضارية .
فقد استطاع المنظور الحضاري للبعث ان يحقق هذا التمييز

الأساسي ، وهو صراع يمثل فيه (الفكر) جنبا إلى جنب مع (العمل) ومع الاتجاج والاستهلاك والنزعة إلى السمو ، مكانه كعنصر فاعل ومبدع . فهو سلسلة (من النضال القومي والصراع الطبقي وثورات الحرية) متداخلة الحلقات ، تشكل عملية جدلية

• تاريخية واحدة .

فخلالـ انسان وسعادته ، وتحرير المجتمعات وتوحيد الامم ، ليس منوطا بالاقتصاد وحده ، بل عن طريق سلسلة من المراحل يتداخل فيها تطور الاقتصاد والنمو الاقتصادي مع تطور العلم والفكر والنضال من أجل التحرر والحرية ومن أجل تحقيق الذات الفردية والاجتماعية . وأخيرا ، فإن هذا المنظور الحضاري للبعث ، هو الذي جعل هذه التجربة الثورية التي تتحققـها في هذا القطر المعجون بالحضارة والثورة على مر التاريخ ، تجربة ذات بريق ثوري جديد على صعيدي الفكر والتطور ، وفي جميع حقول المعرفة والاتجاج والابداع ان هذا (المنظور الحضاري) يشكل سندا وقوـة لنا ، ودليلـا يعصـم فـكرـنا من الـوقـوع في الانحراف عن خط التطور التاريخي الموضوعي لـامـتنا . بـيدـ انه يـشكـلـ فيـ الـوقـتـ نفسهـ ، كـماـ أـشـرـناـ فيـ الـبـدـءـ ، تـحدـيـاـ دائـماـ لـناـ ، اـفـرـادـاـ وـجـمـاعـاتـ ، طـلـيـعـةـ وـجـمـاهـيرـ ، لـكـيـ نـرـتفـعـ باـسـتـمرـارـ الىـ مـسـتـوـىـ العـلـمـ التـارـيـخـيـ الـذـيـ تـتـطـلـبـهـ الـأـمـةـ الـعـرـبـيـةـ مـنـ اـجيـالـ نـهـضـتـهاـ الـمـعاـصـرـةـ .